المذهب الرومانسي

لم يكن اليونانيون او الرومانيون يعرفون كلمة " كلاسيكي " او المذهب " الكلاسيكي " كذلك عاش شكسبير ومعاصروه من الشعراء المسرحيين الرومانسيين وهم لا يعرفون تلك الكلمات " رومانس " وان كان مسرحهم قد عاش حياة رومانسية خالصة تماماً كما كان المسرح اليوناني القديم والمسرح الروماني القديم ذلك في حالة حياة كلاسيكية خالصة ذلك ان كلمة رومانس لم تظهر في انكلترا الا حوالي عام 1654م ، وكان معنى رومانس في حينها " القطعة الادبية " او " الاثر الادبي " الذي يشبه الرومانس او Romanz كما كان هجاء الكلمة في اللغة الفرنسية القديمة .

والرومانس كما كانوا يعرفونها في العصور الوسطى هي القصة الطويلة التي تصور المجتمع الارستقراطي كما تصور المثل الفروسية العليا تصويراً يقوم على المغامرات والبطولة والغرام العذري الذي يشبه العبادة .

وقد وضع هنرك هيني " Heinrich Heine " الالماني 1797-1856م تحديداً قصيراً يسيراً لتوضيح الفرق بين المذهبين الكلاسيكي والرومانسي وهو فرق كبير لا شك فيه .

قال هيني :

" ان الكلاسيكية هي مذهب القيود المذهب الذي يحدد الاهداف ويقف عندها ، فترى الاديب او الفنان الكلاسيكي يلتزم القوانين الصارمة التي تدور في قيودها فكرته فهي دائماً تبدو في اطار مادي محدود ، اما الرومانسية فهي مذهب الانطلاق ، مذهب العاطفة والحرية ، المذهب الذي يطير بأجنحة قوية في عالم الروحانيات غير المحدود ، وعليه يجب على الاديب او الفنان ان يجعل الرمز اهم ادواته " .

والمذهب الرومانسي هو مذهب العاطفة التي تحرك الاحياء جميعها ، وتتلاعب بهم وتوجههم وتستبد بهم اشد مما يستبد بهم القضاء والقدر كما في المسرحية الكلاسيكية كما ان المذهب الرومانسي لا يتقيد بالوحدات الثلاث (وحدة الفعل – وحدة الزمان – وحدة المكان) فشكسبير يجمع الى العقدة الاساسية في كل مسرحية من مسرحياته اكثر من عقدة ثانوية وهو لا يقتصر على قصة او حكاية واحدة تتسلط عليها جميع الاضواء .

والشعراء المسرحيون الرومانسيون يشبون العواطف في نفوس شخصياتهم ونفوس المتفرجين شباً عنيفاً ، ويشيعون في المسرحية وفي المسرح جواً من الترقب والاستغراق ، وهو الجو الذي تسبح فيه العواطف في الجنة والجحيم على السواء ، والمذهب الرومانسي لا يعني الا بذات الفرد ودخيلة نفسه ، ومن هنا كان جمال الادب الرومانسي كله ، الجمال الذاتي ، الجمال الروحي الانساني في فطرته التي فطره الله عليها .

والمنطق في المسرحية الرومانسية منطق فردي ضعيف ، منطق هوائي ، منطق تربى في ريح العاطفة المتقلبة التي لا استقرار لها .

ويعد مارلو 1564-1593م معاصر شكسبير الذي ولد معه في عام واحد اول ثائر على قواعد المذهب الكلاسيكي ، وتلميذ مكيافيلي صاحب المبدأ السياسي " ان الغاية تبرر الوسيلة ووجوب ان يتذرع الحاكم بكل ما يجعله قوياً غلاباً وصاحب كل سلطة في بلاده " . ولم يكن مارلو وحده الذي ضرب بقواعد المذهب الكلاسيكي عرض الحائط ، بل شاركه في هذا معظم خريجي الجامعات البريطانية من اللامعين ، وكان منهم من استعمل النثر لاول مرة في المسرحية ، ثم بدأ عصر المأسي في تاريخ المسرح الانكليزي ، وهو العصر الذي تبلور فيه شكسبير ، بطل الرومانسية العميقة . وقد بهر شكسبير العالم كله بطريقته العجيبة في تصوير

داخائل النفس الانسانية ، وما تجيش به من عواطف واهواء ويعد ويليام شكسبير ظاهرة فنية فذة فثي تاريخ المسرح ، وقد كان ينظم مسرحياته في انكلترا في اواخر القرن السادس عشر واوائل القرن السابع عشر ميلادية ، وكأنه كان ينظمها للعالم جميعاً وللزمان كله ، الا ان الانكليز جهله اكثر من قرن ونصف القرن حتى عرفه اليهم الناقد الالماني شليجل "Schlegel" 1767-1845م ، فأفاقوا الى انهم يملكون ادبياً اثمن من امبراطوريتهم .

ملاحظة / الاطلاع على نشأة المذهب الرومانسي في الملزمة .